المقالة البحثية

العناية النبوية بالمؤمنين في العهد المكي من خلال الخطاب القرآني

*مصبح بن سالم بن عبود الكعبي** *عبدالرزاق سليمان محمد أحمد***

** طالبة ببرامج الدكتورة في الدراسات الاسلامية، كلية الدراسات الإسلامية والقانون، جامعة فطاني*

*** الدكتور. الأستاذ المساعد، في قسم الدراسات الإسلامية، كلية الدراسات الإسلامية والقانون، جامعة فطاني*

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الأساليب التي اتبعها كفار قريش لفتنة المؤمنين في العهد المكي من خلال الخطاب القرآني. والوقوف على التوجيهات القرآنية للنبي ﷺ لرعاية أتباعه المؤمنين في العهد المكي. واستنباط أهم صور التكافل بين المؤمنين في العهد المكي من خلال الخطاب القرآني. وقد اعتمدت الدراسة على منهجين اثنين من مناهج البحث، هما المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي. وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: – أولاً: مارس كفار قريش صنوفا وأساليباً متنوعة لفتنة المؤمنين وصدهم عن دينهم. ثانياً: احتوى الخطاب القرآني على توجيهات وأوامر مباشرة للنبي ﷺ للعناية بالمستضعفين من المؤمنين. ثالثاً: طبق الرسول ﷺ مبدأ المؤاخاة بين المؤمنين في العهد المكي، وقد اتخذت تلك المؤاخاة صوراً وأشكالاً مختلفة حققت مبدأ التكافل الاجتماعي الذي أكد عليه الخطاب القرآني. رابعاً: استطاع النبي ﷺ من خلال اتباعه وتطبيقه لتوجيهات القرآن الكريم أن يحافظ على بقاء وثبات الثلة المؤمنة ويجنبها خطر الإبادة.

الكلمات المفتاحية: التعايش، السلمي، صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني

RESEARCH

Prophetic care for believers in the Meccan era through the Holy Qur,an

Musabbah Salim Abood Al-Kaabi Abduelrazg Sulaiman Mohamed Ahmed***

**Ph.D. candidate, Student of Faculty Islamic Studies and Law, Fatoni University, Thailand*
***Ph.D. (Islamic Studies) Assistant Professor of Faculty Islamic Studies and Law, Fatoni University, Thailand*

Abstract

This study aims to identify the methods used by the infidels of Quraish to seduce the believers in the Meccan era through the Quranic discourse. And standing on the Quranic directives of the Prophet, peace be upon him, to care for his faithful followers in the Meccan era. And deducing the most important forms of solidarity between the believers in the Meccan era through the Quranic discourse. The study relied on two research approaches, namely the descriptive approach and the deductive approach. The study reached the following results: - First: The infidels of Quraysh practiced various types and methods to seduce the believers and prevent them from their religion. Second: The Qur'anic discourse contained direct directives and orders to the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, to take care of the weak among the believers. Third: The Messenger, may God's prayers and peace be upon him, applied the principle of brotherhood among the believers in the Meccan era, and that brotherhood took various forms and forms that achieved the principle of social solidarity, which the Quranic discourse emphasized. Fourth: The Prophet, may God's prayers and peace be upon him, was able, by following and applying the directives of the Holy Qur'an, to preserve the survival and steadfastness of the believing group and avoid the danger of annihilation.

Keywords : Peaceful coexistence The elite of interpretations Muhammad Ali Al-Sabouni

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على المصطفى، وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى وبعد:

عرف العهد المكي من الدعوة الإسلامية، بأنه عهد الاستضعاف للثلة المؤمنة، فقد مارس كفار قريش صوراً عديدة لصد المؤمنين عن دينهم، وتنوعت أساليبهم بين الترغيب والترهيب، وتعرض المؤمنون لصنوف مختلفة من ألوان العذاب سواء كان نفسياً أو بدنياً، وكانت المسؤولية الجسيمة المنوطة بالنبي محمد ﷺ هي وجوب المحافظة على تلك الثلة المؤمنة وحمايتها والدفاع عنها بكل ما يستطيع. وكان الخطاب القرآني واضحاً جداً في ضرورة عناية النبي ﷺ باتباعه المؤمنين خصوصاً الضعفاء منهم. ومن تلك التوجيهات القرآنية ضرورة خفض الجناح والتواضع لهم، قال تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة الشعراء: 26: 215) وعدم الاستجابة لطلبات الكفار المتمثلة في طردهم من مجلسه. قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (سورة الأنعام: 6: 52) فعمل النبي ﷺ كل ما بوسعه من أجل حماية الضعفاء من المؤمنين، فأرسى مبدأ المؤاخاة بين المؤمنين الأغنياء والفقراء، وحث الاغنياء على الإنفاق على الفقراء منهم. و لم يسمح ﷺ طوال فترة العهد المكي بحمل السلاح ومواجهة الكفار، وبذلك استطاع ﷺ أن يحمي الثلة المؤمنة ويحافظ عليها. إن هذه الدراسة تؤكد على ضرورة الاستفادة من تجربة النبي محمد ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم في مواجهة التحديات المعاصرة التي تعيشها الأقليات المسلمة في العديد من الدول والمجتمعات. إن حالة الاستضعاف التي تعيشها تلك الأقليات يحتم عليها تطبيق مبدأ التكافل والتعاضد فيما بينها وألا تدخل في صدامات مباشرة مع الانظمة الحاكمة في تلك الدول، وذلك حتى تحافظ على وجودها ودينها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في إمكانية استقصاء منهج الرعاية النبوية للمؤمنين في العهد المكي من خلال القرآن الكريم ومحاولة الوصول إلى صور التكافل الاجتماعي التي طبقها النبي ﷺ بين المؤمنين، والتي استطاع من خلالها حماية تلك الثلة المؤمنة والحفاظ عليها.

أهداف البحث:

1. التعرف على الأساليب التي اتبعها كفار قريش لفتنة المؤمنين في العهد المكي من خلال الخطاب القرآني.
2. إبراز التوجيهات القرآنية التي دعت النبي ﷺ لرعاية أتباعه المؤمنين في العهد المكي.
3. استنباط أهم صور التكافل الاجتماعي بين المؤمنين في العهد المكي من خلال الخطاب القرآني.

منهج البحث:

لقد دعت طبيعة هذا البحث إلى اتباع المنهج الوصفي، وذلك لعرض المعلومات المتعلقة بالتعايش السلمي، وتفصيلها تفصيلا غير مخل.

والمنهج التحليل، وهو عبارة عن تحليل ما استنتجه الباحث من الأحكام المتعلقة بالتعايش السلمي، في كتاب صفوة التفاسير، وبيان مضمونها بناء على قول الصابوني

1. محاولات الكفار فتنة المؤمنين

1 . 1 استهزاء الكفار بالمؤمنين.

لم يترك كفار قريش أسلوبا يمكن من خلاله فتنة المؤمنين إلا اتبعوه ومن ذلك اسلوب السخرية والاستهزاء والضحك على المؤمنين، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ**﴾ (سورة المطففين: 83: 29 – 32)

وهذا النوع من السخرية كان يترك أثرا في نفوس الصحابة الكرام رضي الله عنهم. قال الرازي في تفسير الآيات: اعلم أنه سبحانه لما وصف كرامة الأبرار في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا في استهزائهم وضحكهم، ثم بين أن ذلك سينقلب على الكفار في الآخرة، والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم، وقد حكى الله عنهم أربعة أشياء من المعاملات القبيحة فأولها: أنهم كانوا يستهزئون بهم وبدينهم وثانيها: أنهم كانوا يتفاعلون من الغمز، وهو الإشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز أيضا بمعنى العيب وغمزه إذا عابه، والمعنى أنهم يشيرون إليهم بالأعين استهزاء ويعيبونهم، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء

يتعبون أنفسهم ويحرمونها لذاتها ويخاطرون بأنفسهم في طلب ثواب لا يتيقنونه. وثالثها: أنهم كانوا معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية والتنعم بالدنيا، أو يتفكهون بذكر المسلمين بالسوء. ورابعها: أنهم كانوا يصفونهم بالضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدري هل له وجود أم لا، وهذا آخر ما حكاه تعالى عن الكفار. (الرازي، 2000م، ج 31، ص 94)

يرى الباحث أن حجم المعانة التي تعرض لها الصحابة رضي الله عنهم في العهد المكي عظيم جداً، وقد تنوعت أشكال تلك المعاناة من استهزاء وسخرية وشتم وضرب وتعذيب. لكنهم صبروا وثبتوا على دينهم. وفي هذا بيان لقدرهم ومكانتهم العلية عند رب العزة والبرية جل جلاله. وفي هذه الصورة دلالة للمسلم على أهمية الصبر والثبات في مواجهة الفتن والابتلاءات.

2 . 1 تعذيب كفار قريش للمؤمنين

لقد تعرض المؤمنون الأوائل لأنواع مختلفة من العذاب على يد كفار قريش، وكان الهدف منها واحد وهو فتنتهم وصدهم عن الدين. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**﴾ (سورة البروج: 85: 10) والذي تدل عليه الآية، أن الوعيد كان لجماعة يفتنون المؤمنين والمؤمنات. ولقد كان ذلك أمرا واقعا حيث كان بعض الزعماء المشركين في مكة يضطهدون ضعفاء المؤمنين والمؤمنات ويؤذونهم. وذكر الفتنة في هذه السورة المبكرة في النزول يدل على أنها قد بدأت منذ عهد مبكر من الدعوة، ويستفاد من هذه وتلك أن الأرقاء والمستضعفين من المسلمين الأولين هم الذين تعرضوا لها في الدرجة الأولى وأنها كانت مع ذلك تشمل المؤمنين من الأسر القرشية البارزة، وأنه كان من صورها أن يعرى المسلمون ويطرحون فوق الرمال والصخور الشديدة الوهج من حرارة الشمس وتوضع على أجسادهم الصخور الثقيلة ويمنع عنهم الماء والطعام ساعات طويلة أو أياما عديدة وكانت تقيد أيديهم وأرجلهم بقيود الحديد ويجلدون شديد الجلد، وأنه قد زهقت بسبب العذاب أرواح فضرب أصحابها الشهداء مثلا خالدا على التمسك بالعقيدة وتحمل أنواع الأذى والتضحية بالنفس في سبيلها. (دروزة، 1963م، ج 2، ص 146 – 148)

وقد اشتد التعذيب لدرجة أنه تفوه بعض الصحابة رضي الله عنهم بعبارات الكفر ونالوا من رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾ (سورة النحل، 16: 106)

عن عبد الله بن مسعود قال: أول مَن أظهر إسلامَه سبعةٌ: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعَمّار، وأمه سُمَيَّة، وصُهَيْب، وبلال، والمقْداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائُرهم فأخذهم المشركونَ، فألبسوهم أدْرَاع الحديد، وصَهَرُوهم في الشمس، فما منهم إنسانٌ إلّا وقد وَاتَاهم علي ما أرادوا، إلا بلال، فإنه هانَتْ عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعْطوْه الولدانَ، وأخذوا يطوفون به شعَاب مكة، وهو يقول: أحَدٌ أَحَدٌ. (ابن حنبل، ج 4، ص 53، رقم الحديث 3833)

يلاحظ الباحث أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، قد تعرضوا للفتنة سواء كانوا أغنياء أم فقراء، سادة أو عبيدا، وإن كان الأذى قد لحق بصورة أكبر بالمستضعفين من العبيد والأرقاء أمثال بلال بن رباح وعمار بن ياسر وأبوه وأمه وغيرهم من المؤمنين الذين لم يكن لهم ظهر يحدب عليهم أو يحميهم، وقد استمر ذلك الحال من الاستضعاف طوال العهد المكي، لكن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، صبروا وصابروا في سبيل الله.

2. التوجيهات القرآنية للنبي ﷺ للعناية بأتباعه من المؤمنين.

2.1 توجيه النبي ﷺ لخفض الجناح للمؤمنين.

لقد اهتم القرآن الكريم بأتباع النبي ﷺ وراعى شعورهم واحتياجاتهم الاجتماعية ولذلك حملت بعض آيات الخطاب القرآني توجيها مباشرا للنبي ﷺ ، بضرورة خفض الجناح للمؤمنين، والتواضع لهم، ومداراتهم، والتلطف بهم، والسؤال عنهم، والعمل على الوقوف إلى جانبهم والاجتهاد في رفع الظلم والضيم عنهم.

قال تعالى: ﴿**لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (سورة الحجر: 15: 88)، وقال تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة الشعراء: 26: 215)

جاء الأمر للنبي ﷺ بأنْ يُوجّه طاقة الحنان والمودَّة التي في قلبه إلى مَنْ يستحقها، وهم المؤمنون برسالته ﷺ؛ وعليه أنْ يخفضَ جناحه للمؤمنين. فكُلُّ حركة من الإنسان هي نزوع يتحرَّك من بعد وُجدْان، والوُجْدان يُولِّد طاقة داخلية تُهيئ للنزوع وتدفع إليه، فإن حزن الرسول ﷺ لعدم إيمان صناديد قريش برسالته؛ فهذا الحُزْن إنما يخصم ويأخذ من طاقته؛ فيأتيه الأمر من الحق سبحانه أن يُوفِّر طاقته، وأنْ يُوجِّهها لَمَنْ آمن به؛ وأن يخفِضَ جناحه لهم. وخَفْض الجناح هو التواضُع. (الشعراوي، 2008م، ج 13، ص 7769)

وجاءت آيات سورة عبس تحمل في طياتها عتابا للنبي محمد ﷺ ، قال تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ**﴾ (سورة عبس: 80: 1 – 11)

قال القرطبي في ذكره لسبب نزول آيات سورة عبس: أقبل ابن أم مكتوم والنبي ﷺ مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى، وقد قوي طمعه في إسلامهم وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم، فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وجعل يناديه ويكثر النداء، ولا يدري أنه مشتغل بغيره، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه. (القرطبي، 1964م، ج 19، ص 212) وعلق البوطي على هذه الحادثة قائلا: أن رسول الله ﷺ لما استبشر بما رآه مرة من دلائل إقبال بعض زعماء قريش على فهم الدين، انصرف إليهم بكليته مبتهجا يكلمهم ويشرح لهم ما يستفسرون عنه من حقائق الإسلام، حتى دعاه ذلك الاستبشار والطمع في هدايتهم إلى أن يعرض عن الصحابي الضرير عبد الله بن أم مكتوم حينما مرّ بهم فوقف إلى جانبهم يستمع، وأخذ هو الآخر يسأل رسول الله ﷺ، وكان ذلك منه ﷺ حرصا على الفرصة ألا تفوته وأملا في أن يجيب عبد الله بن أم مكتوم في أي وقت آخر. فعاتبه الله على ذلك في سورة عبس وأنكر عليه اجتهاده هذا، وإن كانت غايته مشروعة ونبيلة، ذلك لأن الوسيلة قد انطوت على كسر خاطر مسلم أو ما يدل على الإعراض عنه وعدم الالتفات إليه من أجل اجتذاب قلوب المشركين فهي ليست بمشروعة ولا مقبولة. (البوطي، 2006م، ص 85)

يستنتج الباحث مما سبق أن الخطاب القرآني كان واضحا في توجيه النبي محمد ﷺ بضرورة إعطاء العناية الكبرى بالثلة المباركة من المؤمنين وأنه لا يجوز بأي حال من الأحوال كسر خواطرهم أو التقليل من شأنهم، أو حتى الانشغال عنهم مقابل العناية والاهتمام بكفار قريش، فالعبرة عند الله سبحانه وتعالى بقرب الإنسان وخضوعه لخالقه وليست بالمال والحسب والنسب، والله سبحانه غني عمن امتلئ قلبه غرورا وكبرا وإعراضا عن آيات الله سبحانه وتعالى.

2 . 2 التوجيه الإلهي للنبي ﷺ بعدم طرد المؤمنين.

اشترط زعماء ووجهاء قريش على النبي ﷺ عدم مجالسة المستضعفين والفقراء من المؤمنين، فوقع في نفس النبي ﷺ ما وقع، فانزل الله هذه الآية التي تحمل في ثناياها توجيها مباشرا للنبي ﷺ بعدم طرد المؤمنين. قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (سورة الأنعام: 6: 52)

وفي سبب نزول الآية وردت رواية عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نفَرٍ، فقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يقَعَ فَحَدَّثَ نفْسَهُ فَأَنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ"» (مسلم، رقم الحديث: 1878، رقم الحديث: 2413)

والمعنى أن رسول الله ﷺ لحرصه على إيمان عظماء قريش ليكونوا قدوة لقومهم ولعلمه بأن أصحابه يحرصون حرصه ولا يوحشهم أن يقاموا من المجلس إذا حضره عظماء قريش لأنهم آمنوا يريدون وجه الله لا للرياء والسمعة ولكن الله نهاه عن ذلك. وسماه طردا تأكيدا لمعنى النهي، وذلك لحكمة: وهي كانت أرجح من الطمع في إيمان أولئك، لأن الله اطلع على سرائرهم فعلم أنهم لا يؤمنون، وأراد الله أن يظهر استغناء دينه ورسوله عن الاعتزاز بأولئك الطغاة القساة، وليظهر لهم أن أولئك الضعفاء خير منهم، وأن الحرص على قربهم من الرسول ﷺ أولى من الحرص على قرب المشركين، وأن الدين يرغب الناس فيه وليس هو يرغب في الناس» (ابن عاشور، 1984م، ج 7، ص 246 – 247)

ويرى الباحث أن الخطاب القرآني اهتم بتربية النبي محمد ﷺ، وذلك ان النبي ﷺ بشر يجتهد فيصيب ويخطئ إلا ما كان من تبليغه للوحي فإنه معصوم بلا شك، ويمكن القول إن هذه الآية تشكل ما يسمى تربية استباقية وذلك حتى لا يقع النبي ﷺ في هذا الخطأ الخطير، وعليه فالآية تحمل تنبيها وتربية للنبي ﷺ في آن واحد.

2.3. مساعدة أغنياء المؤمنين لإخوانهم المستضعفين

لقد كان لأغنياء الصحابة رضي الله عنهم دور كبير في مد يد العون والمساعدة لإخوانهم المؤمنين من الفقراء والمساكين الذين لا يجدون شيئا فقد حاربتهم قريش وعذبتهم وقطعت عنهم الأرزاق التي كانوا يعيشون منها، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ ، (سورة المعارج، 70: 24 – 25)

فانبرى أغنياء الصحابة والصحابيات مثل السيدة خديجة رضي الله عنها وأبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف إلى مد يد العون لإخوانهم المستضعفين. قال ابن عاشور في تفسير الآيات: وتسمية ما يعطونه من أموالهم من الصدقات باسم حق للإشارة إلى أنهم جعلوا السائل والمحروم كالشركاء لهم في أموالهم من فرط رغبتهم في مواساة إخوانهم إذ لم تكن الصدقة يومئذ واجبة ولم تكن الزكاة قد فرضت. ومعنى كون الحق معلوما أنه يعلمه كل واحد منهم ويحسبونه، ويعلمه السائل والمحروم بما اعتاد منهم. (ابن عاشور، 1984م، ج 29، ص 172)

قال تعالى: ﴿**وَسَيُجَنبهَا الْأَتقَى (١٧) الَّذِي يؤْتِي مَالَهُ يَتزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يرْضَى**﴾ (سورة الليل: 92: 17 – 21)

وذكر ابن كثير أن الآيات الأخيرة من سورة الليل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإن لفظها لفظ العموم، ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقا تقيا كريما جوادا بذالا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه

الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها. (ابن كثير، 1999م، ج 8، ص 409)

وقال علوش: كان أغلب من يعذب هم الأرقاء الذين أسلموا عند سادتهم؛ ولذا هدى الله أبا بكر رضي الله عنه إلى تحرير من استطاع تحريره، وبارك رسول الله ﷺ فعله. (علوش، 2003م، ص 547)

ويلاحظ الباحث أن الرسول ﷺ قد طبق مبدأ المؤاخاة بين الصحابة المكيين قبل أن تطبق فيما بعد في نسختها الثانية بين المهاجرين والأنصار. وقد بذل أغنياء الصحابة أموالهم رخيصة فداء لإخوانهم المستضعفين، من دون أذى ولا منة.

3. المؤاخاة الأولى بين المؤمنين الأوائل في مكة المكرمة

لا شك أن الرسول ﷺ حرص كل الحرص على ترسيخ مبدأ المؤاخاة بين المؤمنين الأوائل في مكة المكرمة، وقد تمثلت تلك المؤاخاة في عدة جوانب ذكرها القرآن الكريم، ومن تلك الجوانب:

اولا: إذابة الفوارق الاجتماعية بين الثلة المؤمنة

وذلك أن تلك الثلة المباركة لم تكن من فئة اجتماعية متجانسة، بل كانت من فئات اجتماعية مختلفة، فمنهم من كان من سادة قريش مثل ا أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعفان وغيرهم، ومنهم من كان من طبقة العبيد والموالي مثل بلال بن رباح وعمار بن ياسر وزيد بن حارثة وغيرهم. جاء الإسلام ليؤلف بينهم ويعلن أن الكرامة والتميز إنما تكون بالتقوى قال تعالى: ﴿**يَاأَيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (سورة الحجرات: 49: 13)

ثانيا: تقديم الدعم المالي لفقراء المسلمين

لقد كان من البديهي أن يفقد المستضعفون من المؤمنين ما لديهم من أموال وممتلكات، فقد عملت قريش على سلب أموالهم وتجريدهم منها كوسيلة من وسائل الضغط عليهم ليرتدوا عن الإسلام، ولذلك عمل

الرسول ﷺ على ترسيخ مبدأ التكافل المالي بين الأغنياء والفقراء، بحيث ينفق أغنياء الصحابة على إخوانهم من الفقراء والمستضعفين.

الخـــاتمـــة

لم تكن مهمة الحفاظ على الثلة المؤمنة في العهد المكي بالأمر الهين اليسير، خصوصا وأن كفار قريش لم يتركوا وسيلة يمكن أن قضوا من خلالها على النبي ﷺ وأصحابه إلا اتبعوها. لكن عناية الله عز وجل بعباده المؤمنين كانت حاضرة في كل لحظة، فكانت التوجيهات القرآنية تتوالى على النبي ﷺ لترشده وتوجهه إلى الطريقة المثلى التي يجب أن يتبعها حيال كل موقف، وكان النبي ﷺ حريص كل الحرص على تجنب الصدام المباشر بين أصحابه وكفار قريش، وذلك لأن الصدام يعني إمكانية إبادة الثلة المؤمنة والقضاء عليها، وهذا الذي كان يخشاه ﷺ ، لذا كان يحث أصحابه على الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله، وفي خط متوازٍ كان ﷺ يعمل على إرساء مبدأ التعاون والتكافل الاجتماعي بين المؤمنين. ويعد نظام التكافل الاجتماعي القائم على المؤاخاة بين المؤمنين نظاما قرآنياً طبقه النبي ﷺ بين المؤمنين قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ (سورة الحجرات: 49: 10) والأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى أن تأخذ به وتطبقه في حياتها خصوصاً بين الأقليات المسلمة التي تعاني من الاضطهاد والتهميش.

نتائج البحث.

1- مارس كفار قريش أساليب مختلفة لفتنة المؤمنين وصدهم عن دينهم، مثل الاستهزاء والسخرية، والتعذيب بالضرب، والسحل وغير ذلك.

2- احتوى الخطاب القرآني على توجيهات وأوامر مباشرة للنبي ﷺ للعناية بالمستضعفين من المؤمنين، ومن ذلك التوجيه القرآني للنبي محمد ﷺ بضرورة خفض الجناح للمؤمنين، والتوجيه بعدم طرد المستضعفين منهم من مجلسه ﷺ.

3- طبق النبي ﷺ مبدأ المؤاخاة بين المؤمنين في العهد الملكي، وقد اتخذت تلك المؤاخاة صوراً واشكالاً متعددة، منها على سبيل المثال: إنفاق أغنياء المؤمنين على إخوانهم من الفقراء.

4- استطاع النبي محمد ﷺ من خلال اتباعه وتطبيقه للتوجيهات القرآنية أن يحافظ على بقاء وثبات الثلة المؤمنة ويجنبها خطر الإبادة والفناء.

قائمة المصادر والمراجع:

إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار. (د.ت). *مجمع اللغة العربية*.

ابن القيم. محمد بن أبي بكر. (1415هـ/ 1994 م). *زاد المعاد في هدي خير العباد*. ط 27. بيروت: الرسالة.

ابن حنبل. أحمد بن حنبل. (1421هـ/2001 م). *مسند الإمام أحمد*. المحقق: شعيب الأرناؤوط. عادل مرشد.وآخرون.. ط1، دمشق: مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور. محمد بن طاهر، (1984م). *التحرير والتنوير*. ط1. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن فارس. أحمد فارس. زكريا الحسين. (1969م). *مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون*. مادة خطب. ج2، ط2.، مطبعة القاهرة الباب الحلبي.

ابن كثير. إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (1419هـ/ 1999م). *تفسير القرآن العظيم*. المحقق: محمد حسين شمس الدين. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور. محمد كرم. (1440هـ/2019 م). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

أبو سليمان. عبد الوهاب إبراهيم. (1426هـ/ 2005م). *كتابة البحث العلمي صياغة جديدة*. ط9. الرياض: مكتبة الرشد.

الألوسي. شهاب الدين محمود. (1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. المحقق: علي عبد الباري عطية. ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنصاري. زكريا بن محمد. (1426 هـ/ 2005 م). *منحة الباري بشرح صحيح البخاري*. تحقيق/ سليمان بن دريع العازمي. ط1، الرياض: مكتبة الرشد.

الأنصاري. عبد الرحمن محمد عبد المحسن. (1417 هـ/ 1418 ه). *معالم أصول التربية من خلال وصايا لقمان لابنه*. ط 28. المدينة المنورة: مجلة الجامعة الاسلامية.

البخاري. محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *صحيح البخاري. المحقق: محمد زهير الناصر*. ط1، بيروت: دار طوق النجاة.

بنجر. أماني عبد العزيز حنيفة. (1429 هـ/ 1430هـ). *التربية النبوية العقدية في العهد المكي وتطبيقاتها التربوية*. دراسة النيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية. جامعة أم القرى. مكة المكرمة.

البوطي. محمد سعيد رمضان. 1426ه / 2006م. *فقه السيرة مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة*. دمشق: دار الفكر.

الترمذي. محمد عيسى الضحاك. (1395هـ/1975 م). *سنن الترمذي. تحقيق: أحمد شاكر.* محمد فؤاد عبد الباقي. إبراهيم عطوه. ط2، القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي.

الجرجاني. علي بن محمد. (1403هـ/ 1983 م). *التعريفات.*

الحسيني. محمد بن أحمد بن عبد القادر. *تاج العروس من جواهر القاموس.* دار الهداية

الخولي. محمد علي. (د.ت)، *معجم علم اللغة النظري.*

دبابش. منال موسى. (2008م). *منهج الرسول ﷺ في التربية من خلال السيرة النبوية.* رسالة ماجستير في التربية. الجامعة الإسلامية. غزة.

دروزة. محمد عزة. (1383هـ)، (1963م). *التفسير الحديث.* القاهرة: دار إحياء الكتب.

دروزة. محمد عزة. (1948). *سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم.* ط 1، القاهرة: مطبعة الاستقامة.

الدويش. محمد عبد الله. (د.ت). *التربية النبوية. ط2، مركز البيان للبحوث والدراسات.* لندن.

الرازي. محمد بن عمر. (1420هـ). *مفاتيح الغيب.* ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزيد. حصة عبد الكريم. (د.ت). أهمية دراسة السيرة النبوية للمعلمين. *مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.* المدينة المنورة.

الساعاتي. أحمد بن عبد الرحمن. (د.ت). *الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.* القاهرة: دار إحياء التراث العربي.

السرجاني. راغب. (2007/1428). *العلم وبناء الأمم.* ط 1، القاهرة: مؤسسة اقرأ.

سعيد. جودت،1414هـ / 1993). *اقرأ وربك الأكرم.* ط2. بيروت: دار الفكر المعاصر.

سليمان. عبد الرزاق محمد أحمد. (1439هـ/ 2018م). *التوجيه الحضاري في الخطاب القرآني.* ط1. فطاني: مطبعة مترافات.

الشعراوي. محمد متولي. (2008 م/1429هـ). *الهجرة النبوية.* ط 1. صيدا: المكتبة العصرية.

الشنقيطي. محمد الأمين. (1415هـ/1995 م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.* بيروت لبنان: دار الفكر.

الطبري. محمد بن جرير. (1422هـ/2001 م). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن.* المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. الرياض: دار هجر.

عبيدات. ذوقان. كايد عبد الحق. عبد الرحمن عدس. (1422هـ/2001 م). *البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه.* عمان: دار الفكر للطباعة والنشر.

عتيبة. آمال محمد. (1436هـ/ 2014 م). الأسس *المنهجية للتربية بالقرآن وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية.* ورقة بحثية مقدمة إلى ملتقى التربية بالقرآن الكريم مناهج وتجارب. كلية التربية / جامعة أم القرى.

العز. عبد السلام. (1416هـ/ 1996م). *تفسير القرآن. المحقق عبد الله بن إبراهيم الوهبي.* ط 1، بيروت: دار ابن حزم.

علوش. أحمد،2003م. *السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي.* ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

عمر. أحمد مختار عبد الحميد. (1429 هـ/ 2008 م). *معجم اللغة العربية المعاصرة.* ط ١. القاهرة: عالم الكتب.

الغضبان، محمد منير، (1413هـ/ 1992 م)، فقه السيرة النبوية، ط2، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

الفيروز. آبادي. مجد الدين أبوطاهر. (1426هـ/ 2005 م). *القاموس المحيط.* تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة. بيروت: الرسالة.

القرطبي. محمد بن أحمد. (1384هـ/1964م). *الجامع لأحكام القرآن.* تحقيق: أحمد البردوني. إبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية.

قطب. محمد. (1414هـ /1993 م). *منهج التربية الإسلامية.* ط14. القاهرة: دار الشروق.

الكفوي. أيوب بن موسى الحسيني. (د.ت). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.* المحقق: عدنان درويش. محمد المصري. بيروت: الرسالة.

كهوس. رشيد. (1438هـ/ 2017 م). *السنن الإلهية في السيرة النبوية.* ط1. القاهرة: دار السلام.

كولن. محمد فتح الله. (د.ت). *النور الخالد.* ترجمة: أورخان محمد علي.

المحمودي. محمد سرحان علي. (1441هـ/ 2019 م). *مناهج البحث العلمي.* صنعاء: دار الكتب.

مختار. أحمد. (1429هـ/ 2008م). *معجم اللغة العربية المعاصرة.* ط.1 عالم الكتب.

مرزوق. عبد الصبور. (1401هـ). *السيرة النبوية في القرآن الكريم.* جدة: رابطة العالم الإسلامي.

مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. (د.ت)، *صحيح مسلم. المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي.* القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

مسلم. مصطفى. وآخرون. (1431هـ/2010 م). *التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.* ط1. جامعة الشارقة. الشارقة.المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. القاهرة: دار الدعوة.

نخبة من العلماء. (١٤٢١هـ). *كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة.* ط1. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية.